پژوهشگاه علوم انساني و مطالعات فرهنگي
آفاق الحضارة الاسلامية، العدد الخامس و العشرون، صص ٣-٢٤

المنهجية المعرفية للقرآن الكريم

ا.د.علي العلي*

ملخص:

تسعي الكثير من الشعوب لتكوين حضارة سواء مارستها او بعدما اصبحت احد انعكاساتها .

لغرض تقديم اطروحتها للمعرفة الانسانية والاجتماعية عبرتكوينها لأسس منهجية ومعرفية علمية تتفاعل مع الواقع الذي عاشته لصياغة مستقبلها والتعمق بماضيها فتكون لها السيادة والنفوذ ثقافيا واجتماعيا وانسانيا

عند قرائتنا للدستور الأسمى والمسار الأمثل الذي جسده القران الكريم ككتاب خالد وخاتم ومنهج متكامل للمعرفة نظريا وعمليا يجعلنا نسبر اغواره عبر تحليل ما اختزله من جذور لغوية بلغت ١٨٠٠ جذر عكست عمق محتواها التطبيقات التي شكلت محتواه والذي يعكس اسسه المعرفية والمنهجية لبناء العقل وآليات التفكير البشري نحو التكامل الانساني لبناء الحضارة .

من خلال المفردة القرانية التي كونتها اللغة ؛ هذه اللغة التي اختزلت المعرفة وتركيباتها التي تفاعلت مع الحياة فاثرت في صياغة المتعاطي معها فكانت منهجا معرفيا دلالة ومعنا واستعمالا وافقا و تشخص لنا نظرية متكاملة في العلم والمعرفة والمنهج تقلب عبر ١٠٢ مفردة تقلبت من خلال ١١٠٠ آية قرانية تغطي مساحة ٢٠%من النص القراني.تعطينا الاسس المنهجية والمعرفية للنص القراني التي يؤسس من خلالها البناء الحضاري للعلوم سيما العلوم الانسانية والاجتماعية التي هي الاساس للعلوم الطبيعية والعلوم الاخرى لتكوين عقل بشري يملك المعرفة والمنهج الذي يؤسس للانسان وحضارة الانسانية ، فكانت هذة الاطروحة التي نقدمها كنظرية للاسس

*استاذ كويتي و مدير منطقة ايران والخليج الفارسي لجامعة كلمنتس الألمانية، vc_alali@yahoo.com

تاريخ وصول: ١٣٨٨/١/١٠ تاريخ پذيرش ١٣٨٨/٢/٢١

المنهجية والمعرفية.

الكلمات الرئيسة : الاسس المنهجية والمعرفية -الخطاب القراني -المفاهيم المعرفية- منظومة التشريع - نظام المفاهيم

✎ ✎

المقدمة :

تمهيد :

عند التأمل بمفردات اللغة العربية نجد أننا أمام تراث إنساني هائل مدعوم بكتاب سماوي مُقوِّم ومُنظِّم ومُطوِّر لهذا الفكر ومغذياً لمعطياته الزمانية والمكانية.

حيث نجد أن مدار هذا التراث اللغوي ينصب بصورة ملفتة للباحث حول العلم والمعرفة واللذان يشكلان الرافد الأساسي للرقي والازدهار والكيان الحضاري لأي أمة ، عبر انعكاساته على مدى سعة العلوم والمعارف الكاشفة عن سعة المفردات وعمقها وغناها ، سواء تعاطينا مع ذلك من خلال العلوم والمعارف التي وجدت أو تطوّرت أو من خلال المفردة ودورها في ذلك .

الغاية من الدراسة :

أولاً : بيان مدى المساحة التي شغلتها اللغة ومفرداتها في الفكر الذي نهض في بناء الحضارة الإسلامية بأبعادها الإنسانية على مستوى العلم والمعرفة من خلال الاهتمام بهما .

ثانياً : الوقوف على المفردات وطبيعة توظيفها وما أفرزته لنا من تطور على مستوى الدلالة والاشتقاق.

ثالثاً: المساهمة في رفد الساحة العلمية على مستوى المباني العقلية والتحليلات المنهجية والمعرفية لبيان موقع العلم والمعرفة في اللغة العربية من خلال مصدرها الأساسي القرآن الكريم عبر :

أ : فتح بوابة للاسهام في وضع الدراسات المعجمية والمعرفية والعلمية .

ب - توظيف أدق لمفردات اللغة ومعطياتها في بناء المصطلح العلمي في كافة

تشعبات العلوم الإنسانية والطبيعية .

ج ـ محاولة احياء التوظيف الحضاري للعلوم والدراسات الأساسية الفاعلة في بناء الكيان اللغوي كعلم اللغة وفقهها وفلسفة اللغة والمناهج المتعلقة بذلك .

د ـ محاولة تطوير أصول منهجية أو منهجية مستقلة للبحوث والدراسات اللغوية متعلقة بالمفردة اللغوية لبناء هيكليتها المعرفية والعلمية مع مراعاة المؤثرات الزمانية والمكانية .

رابعاً : العمل على تفعيل دور الدراسات الباحثة والمعمقة لتطور المفردات عبر الرصد التأريخي والتفعيل الاجتماعي للمفردة .

خامساً : دراسة وفهم معمق للعلاقة التي تربط المفردة اللغوية ومقتضياتها الذاتية والاستعمالية .

على ضوء ذلك نصل إلى سبر أساسي ومعمق لتراثنا اللغوي والمتناثر في طيات دراساتنا وكتبنا العلمية والمعرفية ، والتي قرأت في خضم مجال تخصصها مع عدم الاهتمام الدقيق بأبعاد اللغة والمفردة التي نسجت ذلك التراث العلمي مما يعني أننا إما مشروع يعمل على سبر معرفي وعلمي يؤسس لمنهج معرفي وعلمي لغوي ينطلق من القرآن الكريم ويتعاطي بصورة واضحة مع كتب اللغة كالمعجمات وكتب التفسير والدراسات القرآنية والحديثية والنصوص الأدبية والابداعية إضافة للتراث المتعلق بالعلوم العقلية كالفلسفة وعلم الكلام والعرفان والمصنفات الرافدة للعلوم الاعتبارية كعلم الفقه وأصوله .

دعوة لمشروع المنهجية المعرفية للقرآن الكريم:

ان الخوض في منهجية القرآن المعرفية ليس من باب إضافة مجرد عبارة وإنما هو مشروع يهدف إلى إعادة توظيف المعرفة الإنسانية والموروث الفكري الإنساني والحضاري بشكل عام وماحتوته الحضارة الإسلامية بمصادرها وتفاعلاتها بشكل خاص بحيث يكون هذا التوظيف ضمن منظومة ترسم المنهج المعرفي باسسه ومصادرة الأصيلة مما يعني أننا ندعو إلى قواعد علمية منهجية ضمن الإيدلوجية والرؤية الكونية التي يشكلها الفكر الديني الإسلامي بإصالته.

آفاق الحضارة الإسلامية، العدد «الخامس و العشرون»، ربيع و صيف ١٣٨٩ هـ.ش

إذا نحن أمام أطر معرفية ومنهجية تنبع من الضرورة الانسانية والدينية للتوحيد وما يختزله من أصول والذي على ضوءه سوف يتم إعادة النظر في جميع المداليل التي تراكمت من الموروث البشري وإعادة تقييمها منهجياً ومعرفياً وفق هذه الأطر الأصيلة لتكون قاعدة للتجديد وديمومة العطاء للفكر الديني ، حيث نستمد من الآيات القرآنية ذلك عبر رؤية مدى انسجام القواعد المنهجية والمعرفية المتوفرة لدينا ، كذلك أي استحداث أو تطوير في أثناء ذلك أو ما تنتجه تلك الحركة ، مبتعدين بذلك عن مشروع احتواء المدنية المعاصرة سلبياً والتعاطي معها عبر موقع المتلقي غير الفاعل أو المتصرف المتأقلم أو المطّور المزيف.

ان ما نعيشه اليوم هو نتاج واضح لدراسات انتقدت عند باحثيها من الطرف الآخر بمعنى انها حاكت أسسها على ضوء ضحالة في الطرف المقابل ، فكان نتاج ذلك هو ايجاد منهجية معرفية ذات مظاهر دينية إسلامية افتقدت في كثير من مناهجها العمق الديني الإسلامي ، أما ما ندعوا إليه فهو إعادة صياغة منهجية ومعرفية تنطلق من بناء الأسس المنهجية والمعرفية لكافة مفردات المنظومة الدينية للدين الإسلامي .

ان ما تم لدينا من نتاجات ما هو إلاّ مقايسات محاكاة للآخر انتجت لدينا بصورة تتقازم مع الزمن فضلاً عن تقادمها حتى تقاعدها إضافة لما تزدحم به الدراسات المعاصرة والمعنونة بالإسلامية وتحت عباءة الفكر الاصلاحي أو الأصالة والتجديد أو غير ذلك بمثل هذه المفاهيم المفعمة بالمحاكاة بين النظم المستخدمة لدى الآخر وما لدينا ، فاصبحت الاشتراكية تحاكي العدالة الاجتماعية والديمقراطية ما هي إلاّ بشورى أو الدستورية النيابية ، وما جرته علينا هذه الأساليب من ايجاد منظومة لا تنتمي لا إلى الإسلام ولا إلى الغرب إنما هي هجين من ذلك وعقيمة غير منتجة ، وقد تنبه لذلك عدد من الباحثين وتحمس البعض حتى النخاع لمثل هذا الطرح حيث نجد أمثال الدكتور كمال عبد اللطيف وخير الدين التونسي إذ يرى الأول ان خير الدين [يدافع ... عن الاصلاح السياسي في صورته الليبرالية ، انه يدافع عن ضرورة الاستفادة من الغرب ، ضرورة اقتباس ما يشكل أساس قوة الغرب وعند محاولته اقناعنا بذلك يلجأ إلى إظهار عدم تناقض المفاهيم السياسية الليبرالية مع بعض

المفاهيم التي تبلورت في إطار الأحكام السلطانية وتمت صياغتها ضمن أبواب السياسية الشرعية .

انه لا ينتبه إلى أن المماثلة التي يقيمها بين مفاهيم السياسية الشرعية ومفاهيم السياسة العقلية تؤدي إلى تكسير كلا المنظومتين المرجعتين إنها تكسر الإسلام والغرب معاً ، ان غياب الوعي النقدي أثناء عملية الترجمة والتأويل يسمح لنا بوصف ممارسة خير الدين النظرية بالخيانة ولا نقصد بالخيانة النص الأصلي والنص السياسي الليبرالي بل خيانة منطوق ومضمر المفهوم الإسلامي أيضاً من الأمثلة التي توضح هذه المماثلات التي نغشاها بالمستحيلة نعثر في النص المدروس على النماذج الآتية :

- الشورى مقابل الحكم النيابي (الديمقراطي) .
- أهل الحل والعقد مقابل النواب .
- التمدن مقابل التقدم .

لا ينتبه خير الدين إلى التحويل والتبديل الذي يطرأ على المفهوم عندما يترجمه بحسب مفاهيم تنتمي إلى مجال معرفي مخالف للمجال الذي انتجه ثم تبلور في سياقه ... لقد لاحظنا ان المماثلة في النص عبارة عن تصالح بين مفاهيم تتعذر كل امكانيات انجاز أي وفاق أو توافق فيما بينها ، وذلك نظراً للأولويات التي تضم المنظومتين ، نقصد بذلك المنظومة الشرعية (الإسلام) والمنظومة النظرية العقلية (الفكر السياسي الليبرالي) إذن من المعروف ان مفاهيم السياسية الشرعية تتضمن متطلعات ذات طبيعة دينية خالصة ، منطلقات تعترف للنص الديني بالقداسة والمطلقية وينتج عن هذا بالضرورة تصور محدد للكون والمجتمع والفرد ، تصور ذو طبيعة لاهوتية حيث يشكل الكون دائرتين دائرة الدنيا ودائرة الآخرة .

... لا شك ان وراء هذا الخلط ووراء هذه المماثلة المستحيلة عوامل متعددة يمكن أن تحدد منها مسألة التوجه الاصلاحي في الكتابة السياسية كما وضح ذلك ألبرت حوراني عندما قال : كانت القضية التي شغلت الطهطاوي وخير الدين وإن عبر كل منهما بشكل مختلف تدور حول هذا السؤال كيف يمكن للمسلمين أن يصبحوا جزءاً

آفاق الحضارة الإسلامية، العدد «الخامس و العشرون»، ربيع و صيف ١٣٨٩ هـ.ش

من العالم الحديث دون أن يتخلوا عن دينهم] [1] .

وما نحن بصدده نجد فيه مثل هذه المحاولات من قبيل ما يتعالى به البعض من ان كل ما يكتشفه العلم له آية قرآنية، والتي إذا تقادم على مثل هذه الأصوات الزمن سوف يصبح القرآن الكريم شيئاً فشيئاً إما كتاباً مدرسياً أو موسوعة علمية لحركة الأفلاك والهلال والحمل وفي الآونة الأخيرة الغذاء وهذا لا يعني أننا ننفي بأي شكل من الأشكال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بل نحن نؤكد عليه ولكن حصر هذا الكتاب الفريد بجزئية ومفردة من مفرداته هو تضييق لدائرة هذا النص الخالد ، وحصر دائرة عملية بهذا البعد هذا خلل منهجي فادح في التعاطي مع الكتاب السماوي الخاتم والمصدق على الكتب السماوية والمهيمن بمبادئه ورسوله محمد صلى الله عليه وآله سائر الديانات السماوية التي لم تنالها يد التحريف .

نحن بحاجة إلى منهجية معرفية تنتشل الفكر الديني الإسلامي إلى ما يقابل النظريات الأخرى على نحو المجابهة والأسس المعرفية والمنهجية بصورة تتضمن لنا عمق الرؤية الكونية لكل مفاصل هذا الفكر بنحو تفاعلي علمي وموضوعي ونظري .

منهجية المعرفة :

من أهم ما يميز البحث العلمي هو اعطاءه أسساً تنظم مساره وتحدد أفكاره فنحن أمام أسس علمية عملية ذات بُعد نظري ينعكس عملياً على الواقع لتنقل التصورات والنتائج من مرحلة التأمل والخواطر والأفكار الهائمة من دون أسس إلى مرحلة تجعل منها مبادئ وقوانين منهجية ، ان منهجية المعرفة التي نطمح بالمساهمة بوضعها تعمل على إيجاد ضابط لتقنين الأفكار المستوحاة وكيفية استوحائها ، لتكون على ضوءها هذه الفيوضات المستوحاه من عبق النص القرآني مبنية على أسس منهجية وهو أوسع من دائرة أن يكون هذا المنهج أو ذاك معتمد في فهم وتفسير القرآن الكريم إنما ما نطمح إليه

---

١. للتوسع راجع الانتلجنسيا في المغرب العربي الكتابة السياسية عند خير الدين التونسي د.كمال عبد اللطيف ص٩٣ ـ ٩٦ دار الحداثة بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .

هو ادراك المنهجية المعرفية للقرآن الكريم .

اننا أمام نص إلهي يحمل أبعاد ذات آفاق كونية وأنفسية مما يعني أننا لابد أن نرسم ملامح المنهجية المعرفية على هذه الأسس والتي تولد لنا نتائج متلائمة مع مادة النص القرآني ، متجاوزين بذلك الحالة العشوائية التي تفرزها بعض المناهج التي تتعامل مع النص القرآني ، والتي لم تتجاوز في عطائها سوى تفسير النص القرآني حتى دخلت مرة أخرى لدينا بطريق أو بآخر (الهرمنتوتيك) [١] كمنهج اعتبره البعض ، وهذا من دون ملاحظة طبيعة تعاملاته وانه متولد من افرازات عصر النهضة وكذلك الأسس القائم عليها والتي من المؤسف لم نجد في دراستنا من استوعب حركتها بشكل واضح قبل أن يتبناها فأدى بمثل هذه المناهج ان تعود في فهم النص القرآني وفق دائرة المقاربات أو التوفيقات ، وليس من المنهجية العلمية والموضوعية اعتبار ذلك إذ [ليس من سمات المنهج أن يتقبل أي توفيقية أو انتقائية تماماً كالقانون في الظاهرات الطبيعية ، فلا يمكن أن نقول ان الحرارة تمدد الأجسام ثم نقول بذات الوقت ان الاجسام تتمدد بذاتها ، وهذه هي أزمة الفكر الانتقائي في كل اشكاله بما يشمل اولئك الوصفيين الذين قبلوا الأخذ بفلسفة العلوم الطبيعية ثم رفضوا نتائجها المادية في التأريخ والمجتمع والأخلاق وكذلك هي أزمة كثير من مدارس المتكلمين الاسلاميين الذين قالوا بالجبرية واضطروا في تحديد مسؤولية الإنسان عن اعماله أو الذين قالوا بالاختيار واضطربوا في مطلق الهيمنة الإلهية ـ أو ـ الذين قالوا بالاثنين معاً [٢] ان المنهجية لا تقبل التوفيق ولا التوسط فهي قانون محدد لإنتاج الأفكار ... ان المنهجية لا تعني (الاحادية) في التفكير بمعنى ان قانون الأفكار لا يستوعب ما يبدو متناقضاً ومتعارضاً أو المادية والوضعية الانتقائية ولكن ثمة فارق كبير بين معالجة ما يبدو

١. للمزيد راجع محاضرتنا التي ألقيت على طلبة الدراسات العليا في المذاهب والمفاهيم الفكرية (علم الكلام الجديد) عند تعرضنا بشكل مسهب للهرمينوتيك .

٢. يضيف صاحب هذه الدراسة بعد ذلك [أو الذين قالوا بالاثنين معاً] ولعله لا يقصد العدلية الذين قالوا بنظرية الأمر بين الأمرين وهي من أدق النظريات في هذا الصدد لكن لا يحكم عليها من خلال منهج المتكلم بل تحتاج أسس علمية من علوم أخرى كالفلسفة وعلم العرفان النظري للوقوف أكثر على أبعادها .

متناقضاً ومتعارضاً في إطار الضابط المنهجي نفسه لقانون الأفكار ودون توفيقية وبين معالجة ما يبدو متناقضاً ومتعارضاً دون منهج ومن خلال التأمل العقلي فقط وهذا هو معنى المنهجية كناظم مقنن لإنتاج الأفكار ذات النسق الواحد فكل تعدد مقولاته وتتضارب إنما هو فكر غير منهجي ولو التزم في انتاجه الذهني باطار مرجعي أرقى منه فالقرآن الكريم . مثلاً - يحمل ضمن وحدته الكتابية العضوية منهجية كاملة غير ان الجهد البشري المبذول في التفسير انطلاقاً من النصوص المجزأة وتبعاً للمقاصد الموقوفة على أحكام بعينها - مروراً بمحطة الهرمينوتيك المعاصرة - لا يمنح المفسرين صفة المنهجية] [١] .

إننا ندعوا لإيجاد أسس تعمل على ابراز نص القرآن الكريم وما يحمله من فيوضات و كنوز معرفية لهذه الإنسانية فضلاً عن المسلمين ذات أنفسهم من دون تناقضات أو مقاربات أو توفيقات أو غيرها تحتاج إلى عناء في التوجيه والعرض ينتج عنه صورة مشوهة وغير واضحة المعالم لهذا النص الإلهي إضافة التحجيم الذي يمارس أو الافراط في الغور بالتأويل من داخل التأويل تحت اسقف عديدة كل ينال منها ما يريد مقاصديه كان بادعاءه أو مؤولاً للنص بادعاءه الآخر أو (هرمنوتيقياً) .

إنما المنهج الحقيقي هو الذي يبرز النص القرآن بكامله وبشكله المحكم ونظمه الفريد واعجازه المعجز وآفاقه المبهرة ومرونته المعهودة ومعاصرته الخالدة بين ثابته ومتغيره واصالته وتجديده وزمكانية .

وهذا لايتم بهذه الأساليب التي إن تمت في ذاتها وأسسها ففي الغالب تعمل على إبراز المفهوم الذاتي لمستخدمها ولأفقه الذي يحاكم النص بما يمتلكه من قدرات ومعرفة وأسس وقدرة على استنطاق النص من دون مرجعية واضحة لتحكم هذه الأسس ، وان وضعت في ضمن منظومة مدرسة أهل البيت عليهم السلام قواعد لمحاكمة النص لكن لعل هناك خلل عند التطبيق أو غفلة عند إبراز التحليل والنتائج[٢]

١. منهجية القرآن المعرفية أبوالقاسم حاج حمد ص١٩٠ مجلة قضايا اسلامية معاصرة العدد السادس ١٩٩٩ م ١٤٢٠ هـ .

٢. ورد في الأثر ان القرآن هو الضابط في تقييم النص الروائي (فكل ما خالف القرآن فهو زخرف)

اننـا نسـعي إلـى إرسـاء مـا يتناسـب مـع مدرسـة أهـل البيـت علـيهم السـلام بصـفتهما يمـثلان الوجـه الآخـر للقـرآن الكـريم بموجـب حـديث (كتـاب الله وعترتـي أهـل بيتـي) الثابت في مصادر المسلمين للوصول إلى ما نصبوا إليه ان المنهجية [التي نعنيها هي خروج العقل من حالة التوليد الذاتي للمفاهيم إلى اكتشاف النسق المرجعي الذي يحـاكم هذه المفاهيم نفسها ويؤطر لانتاجها بحيث يحكم التطبيقات في مختلف الحقول الأخرى فـالمنهج هـو خلاصـة قـوانين تحولـت إلـى نظريـات بـدورها إلـى إطـار مرجعـي ولـيس مجرد صياغة موضوعية للتفكير] [1] .

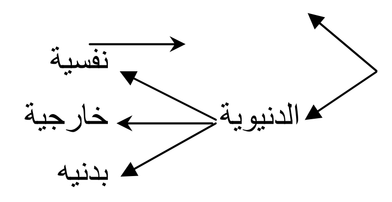
لما المنهجية والمعرفية:

المنهجيــة تعــد الخـيط الــذي يــنظم جــواهر المعرفــة مــن نظريــات وآراء ومبــاني وابداعات ، منطلقاً من قاعدة الترابط بين العلوم وأثرها على بعضها البعض إذ تتشكل منهـا منظومـة متكاملـة لتطـوير الفكـر الإنسـاني مـع الحـرص علـى اغـراق المنظومـة المعرفية (بمنهجية اللامنهجية) المؤدية للامعرفيـة ، وإنمـا نحـن بحاجـة ماسـة مـع هـذا التطور الهائل على المستوى التقني وكذلك الابـداعي إلـى مـنهج مولـد ومنـتج لمجمـوع هـذه النتاجـات البشـرية ، بحيـث يرسـم مسـاراً دقيقـاً لحفظهـا وتطويرهـا وتفعـيلاً أكثـر لـدورها . وقـد قامـت ليسـت بالقليلـة بـل واسـعة فـي إبـداع فلسـفة العلـوم والتـي [تمـنهج الوجـود وحركتـه فـي إطـار علاقـة تفاعليـة بـين الإنسـان والطبيعـة بمعـزل عـن البعـد الغيبـي ودون ان تكتشـف منظومـة القيم فـي قـانون الطبيعـة نفسـه] [2] ، ممـا يعنـي انهـا عزلت بعد أساسي ومكون رئيسي للمعرفـة خصوصـاً إذا لحظنـا ان الإنسـان لـه أبعـاده الأساسية والرئيسية التي لابد أن ينظم وينظَّم من خلالها وهي الأبعاد الأخروية

وقد وضع أئمة أهل البيت (ع) طرقاً أوضحوا فيها طريقة التعامل مع النص القرآن لكن قد نخفق في فهم ذلك أو تطويره بطبيعة الحال ، لذا لابد أن نستند لمرجعية أهل البيت (ع) في ذلك والتي تضمن لنا سلامة ما يتم تطويره أو اكتشافه من أسس لفهم النص المعصوم .

١. منهجية القرآن المعرفية ص١٩١ أبوالقاسم حاج محمد .

٢. منهجية القرآن المعرفية ص١٩٢ أبوالقاسم حاج محمد .



ومن هنا اخفق ذلك المنهج في إرساء أو تثبيت المنتج الأخلاقي والاجتماعي ان وجد ، لذا لا نستغرب ما حدث في منتصف هذا القرن عام ١٩٥٤ م في زيورج في المؤتمر الثاني [لفلسفة العلوم ، حيث وقف (ف ـ غونسيت) رئيس المؤتمر ليعرض (النظام الفكري) للعالم من وجهة نظر الحضارة الأوربية التي أزاحت جانبا الدين والتراث الاهوتي ولكن دون تبني الالحاد الذي يعني عملياً (النظر إلى حركة المادة وفق قوانينها الذاتية) دون إضافة عامل (غيبي ـ خارجي) . لم تكن مشكلة المؤتمر في البحث في العلوم التطبيقية والمختبرية ولكن علاقة النظام الكوني بالإرادة الإلهية وبكل ما هو خارج نطاق الحركة المادية من زاوية التأثير أو عدم التأثير عليها ، وبقول يقارب عقولنا يمكن تلخيص مناقشات المؤتمر بالتساؤل حول الناحية العملية في (إن شاء الله) .

وفي المقابل وقف البروفسور خ.فاتاليف متمنطقاً بالجدلية المادية مؤكداً على أن مهمة فلسفة العلوم إنما تكمن في تعميم المبادئ العلمية على النظام الكوني وليس فقط استخدام الأساليب التطبيقية للاستقصاء العلمي . ففاتاليف يصر على تعميم المبادئ العلمية لصياغة المنهج العلمي الذي يجعل كل شيء (داخل) الكون .

لتلك المناقشات منعكساتها على علم الأخلاق والقانون والبناء الدستوري والحياة الاجتماعية وكل متعلقات الإنسان ، فاما ان يفهم الإنسان النظام الكوني فهماً ثنائياً في حدود العلاقة بينه وبين الطبيعة فقط مستثنياً (الغيب) وإما أن يعود إلى الفكرة الحضارية المركزية حول الغيب . وفي هذه الحالة يتوجب على العلماء اثبات (الحضور الغيبي في الحركة المادية) وبشكل تطبيقي ومختبري لا الاكتفاء بالقول ان الله ـ سبحانه ـ قد خلق فقط ، فمفهوم الالوهية يتخذ منحى جديداً في التعرف عليه وكذلك (مفهوم العلاقة مع الله) .

كان موقف العلماء العدميين (غير الماديين وغير الملحدين) محزناً للغاية ، فالتفاحة

تسقط بجبرية الجاذبية النيوتونية ووفقاً لقانون طبيعي ، وبالتالي فان منطبق الحاجة الطبيعية المباشر هو الذي يتحكم في الأخلاق الإنسانية كما تتحكم الجاذبية في سقوط التفاحة . انه منطق ضيق جداً إذ يختصر الإنسان إلى مستوى الأشياء الطبيعية ويختصر البناء الكوني من تكوينه الغائي ـ غير العبثي ـ كبيت للإنسان ، إلىمفهوم تتجه فيه الحركة بلا غاية .

ثغرات المنهج المادي للنظام الكوني الذي طالب به فاتالييف كثيرة جداً وكبيرة كذلك ولم تكن مشكلة العلماء الوضعيين من العدميين غير الملحدين هي (اثبات وجود الله) وإنما كمنت مشكلتهم في (معرفة العلاقة بالله) وإنما كمنت مشكلتهم في (معرفة العلاقة بالله) ضمن النظام الكوني ووفق معطيات المنهج العلمي ولم يكن (الانجيل) المتداول اليوم ليشكل مصدراً لتحديد هذه العلاقة منذ أن تم نقده بشكل كامل على يد (برونوباور) الذي قدم في عام ١٨٤٠ دراسته الجريئة (نقد تاريخ انجيل القديس يوحنا) ثم نقده الآخر (نقد تاريخ الأناجيل الأربعة وانجيل يوحنا) حيث دعم بكافة بحوثه ان الأناجيل لا تتضمن نصوصاً صحيحة صدرت عن نبي الله عيسى بن مريم وان كافة النصوص المنسوبة إليه هي من اختلاق ووضع الكتاب المتأخرين ثم مضى برونوباور فصب مزيداً من الزيت على النار الملتهبة حين أصدر في عام ١٨٥٢ دراسته في برلين تحت عنوان (نقد التفسير اللاهوتي للأنجيل) مؤكداً هذه المرة على احدى دواهي القرن التاسع عشر عدم وجود رابط تاريخي بين العهد القديم كما يبرزه اليهود والعهد الجديد كما تتضمنه الأناجيل .

ربما لم يعاصر العلماء الوضعيون الذين جادلوا فاتالييف أعمال برونوباور ولكنهم قطعاً قد عاصروا جهود المؤرخ البريطاني الذي يميل لـلا أدرية في التفكير الديني وهو آرنولد تويني حيث اثبت في حوار بينه وبين عالم الديانات المقارنة، اليهودي روزنتال ان نصوص الانجيل أو الاناجيل لا تحمل سوى أربعة مقاطع فقط يمكن نسبتها إلى عيسى بما فيها نص ينفي فكرة الحلول والتجسد عن المسيح] [1] .

١. منهجية القرآن المعرفية ص٢١٦ أبوالقاسم حاج محمد نقلاً عن جريدة التايمز اللندنية بتاريخ ١٩٧٥/١٢/٢٠ م .

وما تبع ذلك من ممارسات معاصرة أدت إلى ما نراه اليوم من تعامل مع المعرفة عبر ثلاثة أساليب تتمحور بشكل أساسي على :

١ ـ النقدية .

٢ ـ التحليلية .

٣ ـ التركيبية .

وعلى قواعد تبلورت منذ منتصف القرن التاسع عشر تعتمد على المناهج المادية أو الوضعية الانتقائية التي قاطعت البعد الغيبي وحتى بعد الإنسان الدنيوي ذوالطابع الغيبي ، وهذا ما تجسد في العلوم والإنسانية والاجتماعية وما انبثق عليها من دراسات ، من هنا يرسم التساؤل الكبير في كيفية وضع العلوم الإنسانية والاجتماعية [1] والدراسات المتعلقة بها في أفقها الحقيقي وتطلعات فكرها بالأبعاد التي ذكرناها آنفاً ، فالمعرفة التي نتوخاها ليست فكراً مادياً وليس نظرية لمذهب فكري وصفي ، إنما هي أبعاد لعلوم مترابطة بأفقها وتطلعاتها لبناء الإنسان ومجتمعه بآفاقه وأبعاده ، مما يعني أننا أمام عملية لا تقف عند النقد أو التحليل أو التركيب بل هي تمازج وتلاقح معرفي واسع يشمل إعادة التجذير والتأصيل لجميع الإنجازات الإنسانية بأبعادها وآفاقها لبناء الحضارة المستدامة والمتجددة في عطاءها وبقاءها لا الراكدة عند إنجازاتها أو المستلبة الإرادة الإنسانية تحت هيمنية تقنيتها على حساب إنسانيتها ومجتمعها الذي ركن إليها من دون أن يجد نفسه صانعاً لها أو موظفاً لعطائها بل مستهلكاً ومستغلاً أكثر منه منتجاً ومطوراً .

ان ما نتحرك إليه وندعوا إليه باستمرار هو البناء الإنساني الذي يجسد ركن المشروع الحضاري المتكامل الذي رسمته رسالة السماء ووضعت أسسه وحددت منهجه ، والآليات التي توظف لتفعيله مع فسح المجال الواسع للتطوير والتجديد ، بما لا يخل بجوهر وأصول الإطار السماوي ، فعندما نضع مثل هذه الأطر لبناء منهجية معرفية تتماشى مع أبعاد

١. لعل من الممارسات التي تحاول أن تفرز وتؤسس لذلك ما يتم من إنشاء مؤسسات لمعالجة وصياغة العلوم الإنسانية كما نجده في إنشاء جامعة الإمام الصادق (ع) في طهران منذ ما يقارب عقدين من الزمن والتي تتخصص في العلوم الإنسانية ، وهذا ما يلمح من فكر مؤسسيها .

المشروع الحضاري وأركانه ومحوره ، فنحن أمام مشروع حضاري لا يسعى إلى العودة إلى السلف وقطع الإنسان عن واقعه المعاصر بحيث يتم قطع كل أواصر النماء والتطور الفكري والعلمي والعملي لهذا الإنسان وخلخلة منظومة القيم والمفاهيم ، وإبعاد منتجات المعرفة وعلومها وقطع أوصالها عبر التمسك بمنهج السلف عبر دعوة منقطعة وتجارب الواقع التليد والتقادم الزمني موقفه بذلك ساعة الزمن عبر توسع رقعه وآليات النفوذ على المكان متغافلة عن التجديد الواعي والمنسجم والمتناسق والغير معارض بتاتاً مع أصالة وجوهر هذه الرسالة الخالدة ، ونحن هنا أيضاً لا ندعوا لقطعية أو جفاف أو تجفيف لتراثنا ، وإنما ننطلق من تراثنا وكنوزه نحو إعادة توظيفه على نحو يتناسب مع متطلبات الزمان والمكان عبر منهجية معرفية نابعة من رحم ذلك التراث وجواهره ، ولا يبدو هذا الأمر متوفراً ومتوازناً ومستوعباً لكل التراث وإنما من خلال التراث المعصوم الذي يتشكل من القرآن الكريم والعترة الطاهرة (الثقلين) الذي سيأتي بيان ذلك باذن الله من خلال ما سيتضح ان المرجعية القرآنية بأبعادها تمتلك كل المقومات وبكفاءة عالية لرفع تداخلات وتداعيات المناهج المعرفية التي أصبحنا نتداخل من خلالها ولا نعرف مخارجها وآليات توظيفها .

وقفة مع الأزمة الحضارية :

يقف الإنسان بزمانه المعاصر ومكانه الحالي أمام مأزق إنساني تتشكل منه مشاكله الحضارية ومن الطبيعي هذا المأزق يتوالد من داخلة لخارجة والعكس .

ان ما نعيشه اليوم هو ما أفرزته لنا الأفكار المولدة لأبعاد منهجية والمنعكسة عن تصورها المنهجية وفق أطر أفكارها بحيث تتداعى أمام أعين إنسان اليوم أهم عناصر بناء الحضارة وهي المنهجية والمعرفة التي تبني المشروع الحضاري وتبني الإنسان الحضارة وحضارة الإنسان وهو ما نفتقر إليه اليوم فما نمتلكه اليوم هو حضارة إن صح التعبير ذات منهجية فاقدة للصياغة الحضارية ، ومتأطرة بإطار ردة الفعل على الفكر الديني أكثر منها مستوعبة لمعطيات فلسفتها ومخرجاتها كفلسفة العلوم والتي ترفض نتائجها على موازينها العلمية من قبيل ما يتعلق بالأخلاق فأصبحت تتحرك بإطار الانتقائية بعدما انطلقت بردة الفعل واستظلت بأفق الوجودية كغاية وهمية الواقع العملي والتي لايؤشر على امكان وصولها لمفهوم الحضارة فضلاً عن تجسيده مما يعني أنها لا

تمتلك رؤية معرفية كونية ذات منهجية عالمية

الأسس المنهجية للمعرفة القرآنية

لعل هذه الدعوى ليست بجديدة على مستوى الدعوى والتصور لكن سبك هذا الإطار ومحاولة تقعيد أركانه ووضعه في سدة الريادة كمشروع بديل وفاعل ومتطور ومتجدد يعطيه صفة الخلود ، أمر ليس بالسهل مع وجود هذه التقاطعات والتداخلات في التطبيق ، وكذلك الخلل والفجوة في الادراك والتصور فضلاً عن ضيق حلقات الربط بين مفردات مقاطعة الزمانية والمكانية ومفاصله المحورية .

فنحن أمام ركود لا من جهة المادة والاساس والمحتوى ، إنما نعاني من آلياتنا وأساليبنا المتعاملة مع هذا النص والتي يحكمها بعدنا التصوري فنحن نعيش اليوم في دائرة الفراغ المنهجي والمعرفي بسبب المتلقى للمادة لا المادة ، وذلك سببه الافرازات الفكرية والاجتماعية التي تغذت على عقلية التلقي المشوه خصوصاً من الآخر ، وإذا تطورت اتجهت نحو التحليل والنقد المستعار والذي لا يتجاوز اسلوب التقابل والمقاربة مما يعني نظريات مختلطة ومهجنة تتحرك بعقلية قلقة ومضطربة تسعى إما لتجاوزت تراثها أو لتشبثت به من خلال الافراط أو التفريط فافتقرت بذلك للتوازن الواعي، وهذا ما أدى بها للتقلب تحت سقف الأصالة والتجديد مع عدم نيل أطرافه إلاّ عبر تصورات فكرية أحادية الزاوية أدى بها إلى أن نجد كثير من الأطروحات على المستوى الفردي أو المؤسساتي[1] اخفقت في عطاءها أو تأخرت فيه أو كانت نتائجه ضئيلة قياساً بالجهود المبذولة والامكانيات المرصودة والمفعلة .

---

١. عند ملاحظة الخلل الذي تعيشه بعض مؤسستنا على مستوى مقوماتها الإدارية أو الفنية والتقنية والعلمية لربما تكون الأرقام رهيبة خصوصاً مع الكم الهائل من المؤسسات المعنونة بالدراسات الإسلامية أو الجامعات والتي نجد مع الأسف نسبة كبيرة من مجالسها العلمية ذات آفاق لم تتجاوز بعد إعطاء الإجازة الجامعية وتتصدى بأفقها لمناقشة أو الإشراف على رسائل وأطروحات الدراسات العليا وهذا لا يعني عدم وجود مؤسسات وجامعات ذات أسس دقيقة لكن قد تضيع أمام سيل من الشكلية فتمحى هي كواقع فاعل وجاد وطبيعي المميز والناظر للكيف نادر الوجود بطبيعة الحال إلاّ أننا لا نحتاج إلى أرقام بل نظرة واعية للمجتمع تفرز لنا عطائنا الكمي والكيفي .

فعلى سبيل المثال نجد أن من مؤسستنا من أرادت أن تنقل التقييم والدرجات العلمية على وفق الأسس الأكاديمية الجامعية لمخاطبة المؤسسات الجامعية بهذه اللغة فنجد أننا حصلنا على كم من شهادات الدراسات العليا لكن المحتوى أصبح مهجنا ما بين المناهج والقراءات التقليدية والمناهج الجامعية فضلاً عن المادة ونوع المقرر وطرق عرضه وأساليب تقييمه وغير ذلك ، كل ذلك أدى بنا لوجود جامعات وكليات بلغت في بعض الدول ما يقارب ٥٠٠ مؤسسة علمية وعدد منتسبيها قد تجاوز مئات الألوف لكن العطاء والإنتاج[١] على أحسن النتائج كان ضمن الدائرة المحلية بعمق محافظة من محافظات تلك الدولة وهذا له عدة أسباب نذكر ما يتناسب مع هذه الأسطر وهو :

١ ـ هيكلية الواقع المعاصرة تؤسس وتبنى كمياً أكثر منها كيفياً .

٢ ـ هيكلية الواقع المعاصرة تؤسس وتبنى بصورة شخصية لا نوعية .

٣ ـ معظم أطروحتنا المطبقة ذات أفق زمني محدود وتضيق زمانياً ومكانياً .

٤ ـ تتسم الأطروحات والخطط والمشاريع بأنها نسخ طبق الأصل أو معدلة شكلياً في معظمها عن ما هو مستورد من الخارج مع ابتعادها عن واقعنا الثقافي والفكري والحضاري والتأريخي .

ان ما نعيشه اليوم يتجسد من خلال معطياته الخارجية مأساة حقيقية بحق منظومتنا الفكرية والدينية والاجتماعية والثقافية بمعنى الكلمة ، وما نسعى ونحاول أن نجدد به أصبح عيناً بل ملاذاً آمناً لمسخ هويتنا ، لذا تجد أننا نواكب الحضارة بآفاقها وهويتها من دون أن نشعر أننا كياناً منها يؤثر ويتأثر في بناءها ومن المؤسف أننا نقيس ما نتعاطاه وما ننتجه مع من هو أكثر تخلفاً منا بدرجات متفاوتة معنا فلا نقيس تقدمنا التكنولوجي مثلاً مع اليابان بل نذهب إلى ما دون خط الاستواء أو نقيس المستوى العلاجي مع ما يتوافر من حالات في الصحراء الكبرى ، وهكذا مما يعني أننا حتى في مقاييس المقارنة نضع ما يتلائم معنا أو ما نتلائم معه فضلاً من أننا نحرص على إيجاد المظاهر الحضارية وحتى هذه بالمناسبة مستوردة فأصبحت مظاهرنا الحضارية المستوردة في العادة تكون

---

١. لاحظ التعليم والتعليم العالي نظرة من الداخل ورقة عمل قدمت للملتقى الثاني للتربية والتعليم والتنمية المستدامة ـ بيروت ٢٠٠٦ م .

عمرانية تتشكل لنا منها حضارة أسمنـتية.

القرآن والمنهجية والمعرفة

لعل البعض عندما نضع مثل هذا العنوان يتصور أننا ندور في تلك العبارات التي تعود عند تجريدها إلى الطريقة أو الأسلوب أو التصورات التي نصيغ من خلالها عرض ما يحتويه واقعنا بمخزونه الزماني والمكاني وما يحيط به .

ان المنهجية والمعرفة أوسع من الفهم اللفظي أو تصور الألفاظ وذلك لأن إعادة تشكيل وهيكلة العقل الإنساني على وفق الرؤية الإسلامية بصفتها خاتم الديانات تدعوا لصياغة عقل يعيد صياغة نفسه آنياً وذاتياً عبر أفق التجديد ومنبع الأصالة [١] فعندما نصنع عقلاً يصنع التقدم والازدهار الحضاري نحن في الواقع نصنع الآليات المطوّرة والمبدعة له ذاتياً وآنياً ونحصنه ليتجاوز العقبات نحو آفاق التطوير والازدهار لكي نعيي المنهجية والمعرفة التي حواها الدين الخاتم فتتحقق بذلك رسالة السماء وخاتمية الديانة .

ان القرآن الكريم يتضمن رؤية كونية شاملة تمثل المنهجية الحقيقية نحو بناء المشروع الحضاري للإنسان متجاوزاً به الزمان والمكان مما يعني أن ما يتم استيعابه بهذا الصدد يبلور لنا المعرفة الحقيقية وفق المنهجية التي يشكلها ، وبطبيعة الحال القرآن صامت ويستنبط من خلال عدله وأعني أهل البيت (ع) كما ورد في الأثر (كتاب الله وعترتي) الثقلين .

ان المنهجية التي يرسمها القرآن الكريم تؤدي بنا لبناء معرفي متكامل ذو بعد عالمي إنساني حضاري ومن الأجحاف أن يتم التعاطي مع القرآن الكريم عبر عين لا ترى إلا الأحكام الشرعية العبادية أو تلك التي ترى القصص القرآني أو غير ذلك من

١. عند رئاستنا لجامعة آل البيت (ع) العالمية AIU وضعنا شعاراً يمثل هدفاً نصبوا إليه وهو أن تكون الجامعة بأفقها العلمي منبعاً للأصالة وأفقاً للتجديد وقد أقترحنا هذا على رئاسة مجلس إدارة الجامعة فأصبح شعاراً لها تحت عنوان منبع الأصالة وآفاق التجديد وأتمنى أن يكون هدفاً لكل مؤسستنا العلمية .

التقطيعات للقرآن الكريم من خلال زوايا منحصرة في أفق معين ولعل هذه اتجاهات قد خدمت في مجالاتها ، لكن ما نراه اليوم من محاكمة للنص الديني القرآني على غرار ما تم للتوراة والإنجيل يعد كارثة حقيقية لفهم النص الديني واسقاطات لا معنى لها ولا غاية منها سوى اقصاء النص الديني عن دوره المعرفي .

فنحن نعاني من هذه الرؤى الضيقة التي جاءت بهذه المنهجيات المستعارة التي لها ظروفها ومكانها وزمانها ومفكريها وفلاسفتها ونضعها على ما لدينا من دون وعي ولا ادراك حتى لبعض الخصائص والجزئيات ، مما يعني أننا حرمنا أنفسنا بالدرجة الأولى والآخرين من المعرفة القرآنية ومنهجيته الرائدة في بناء الإنسان الحضارة والحضارة الإنسانية التي هي غايته المثلى سواء كان في الشرق أو في الغرب .

القرآن الكريم ينظر للإنسان بأبعاده ولا ينظر للإنسان ببدنه بل يشذب كل أبعاده في بعد منها ويوظف كل بعد نحو تلك الأبعاد عبر توازن عالي الدقة فلم يستهلك الإنسان بقوته العضلية أو طاقته الانتاجية باتجاه واحد بل يريد للإنسان كل الإنسان بأفراده ومجتمعاته أن يكون إنساناً لا منتجاً أو استهلاكياً أو رأسمالياً أو اشتراكياً أو غير ذلك من الأسس والنظريات التي وظفت بعداً أو بعدين للإنسان فاستهلكت الإنسان وسحقته وانتجه به ومنه وضعت انساناً ذو بعد أو بعدين لا يستطيع أن يتحرك إلى من خلالها فكان نتاج ذلك قد يكون عمراناً أو سداً أو سوراً أو غير ذلك لكن لم يكن يوماً من الأيام علياً أو حسناً أو حسيناً أو سلماناً أو عماراً أو مقداداً .

ان القرآن الكريم يضع الإنسان الحضاري في وسط خطته لحضارته الإنسانية ويرسم الإنسان العالمي وفوق إنسانية العالمية عبر منظومة اقتصادية وفكرية ودينية واجتماعية وسنن تأريخية وضوابط معرفية عالية المضامين وضعت القتال نحو حفظ الحقوق والمضاربة لتنمية الأموال وازدهار الأمم ونسف منطق الفردية والربوية القائمة على سحق الآخر وجعلت من التواصل بين الجنسين امساك بمعروف أو تسريح باحسان وخلقت من الشعوب ملتقيات للتعارف والتبادل الحضاري الواعي والمطور ، وجعلت من الايمان بناءاً لمجتمع الفضلية والعدالة وحققت العدل الذاتي الذي ينعكس على المجتمع وجعلت من القانون رقابة داخلية ، قبل أن تكون سلطة

آفاق الحضارة الإسلامية، العدد «الخامس و العشرون»، ربيع و صيف ١٣٨٩ هـ.ش

تشريعية أو قضائية ، وهذا الخطاب هو نداء الذات قبل أن يكون نداء المجتمع ، لذا ما تقوم به الأذهان البشرية من نتاجات سوف تلفظ وترفض مهما بلغت مغرياتها أو أساليب التأقلم معها لأنها تخالف الذات ، لذا سوف تبرز الحاجة لمنهجية معرفية تخاطب وتبنى الذات وتدركها لتكون البديل الحقيقي بدلاً عن البدائل الناتجه عن ردود الفعل أو ارهاصات الزمان والمكان أو تصورات النخب ذات النفوذ وهذا ما يخاطبنا به القرآن الكريم حيث هناك حتمية أزلية وسنن تأريخية ذات نتائج محسوبة ودقيقة تفرض بل توجب إيجاد البديل السامي والذي يتحتم في الواقع الحالي أن يدخل منتسبوا هذا الكتاب الكريم إلى دائرة القرار في صياغة الإنسان ليس عبر العودة للماضي التليد ولا بالتبعية للحاضر السليب فنحن إذاً أمام رؤية كونية عالمية تتحتم علينا ببعدها الزمني العالمي ان أمامنا دوراً عالمياً قبل أن يكون دوراً محلياً أو اقليمياً أو ديناً ينحصر في دائرة قبله المسلمين وذلك عبر النقاط التالية:

أولاً : بناء المعرفية على وفق منهجية عالمية من خلال الثقلين .

ثانياً : تبني عرض الإيمان من خلال التوحيد الخالص وما ينبثق عنه .

ثالثاً : الحرص على إيجاد المؤمن وفق رؤية معرفية ومنهجية تبين علاقته مع الغيب أو لنقل المعرفة المنهجية لواقع علاقة الإنسان بالغيب .

رابعاً : عرض الغيب وفق أساس وفهم منهجي ومعرفي ذو أفق عالمي .

الدين وعالمية الخطاب القرآني

لعل عالمية القرآن الكريم تستحوذ على معظم آياته الكريمة وذلك يتجسد من خلال عرض الإنسان وأممه من خلال عرض مساراته في هذا الخلق كما يلي :

١ ـ عرض التجارب البشرية والتوجيه الإلهي من آدم عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله .

٢ ـ تناوله لمفردات العرض من خلال محاورة الأساسية والبناءة وصراعاتها مع الآخر أي معول البناء ومعول الهدم للوقوف على مجمل الصراع وأسس البناء الحضاري الذي ينطلق من الايمان ويرسيه كحق لمجابه النقيض وسحقه كباطل .

٣ ـ حرص القرآن الكريم على عرض المنهج المعرفي من إعطاء رؤية أساسية في التعاطي عبر الاشارة في خواتم الآيات إلى التدبر والتفكر والتعقل .

٤ ـ تركيز القرآن الكريم على عرض الدين وفق إطار (الهدى ودين الحق) ونجد العالمية بقوله تعالى :

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَالله وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١]

فهنا الحنفية تشكل التوحيد المشترك لكل الأديان فضلاً عما تشكله الابراهيمية للديانات من اشتراك سماوي تقره الوقائع والكتب السماوية .

٥ ـ عرضه للديانات السماوية ببعدها التوحيدي ونقده لترسبات الفهم الخاطئ للتوحيد .

٦ ـ حصر الدائرة المناقضة للتوحيد بالكفر والمزيفة له والداعية لطمسه بالشرك والنفاق .

فلو جمعنا هذه المفردات تتشكل لدينا رؤية معرفية ذات أساس منهجي لفهم الدين من خلال العالمية عرضاً والتزاماً فهو هدى ، لذا هو دين حق وهو مصدقاً لما قبله وبعده مقوماً لما تم تداوله وكاشفاً زيف من تلاعب بفهم التوحيد من كتب أخذت من السماوية لكنها تلاعبت في صياغتها ، والقرآن أعطانا منهجية في معرفة زيف الصياغة الذي عكس معرفتها الزائفة للدين بين رهبانية مبتدعة أو الوهية مفتعلة وحدد لنا أسس التعاطي مع الطبقات المعارضة للمشروع الحضاري الإنساني وانسانية الحضارة من خلال الكفر أو من هم في داخل دائرة الأديان كالمشركين والمنافقين الذين يريدون صياغة التوحيد وفق شركهم أو نفاقهم .

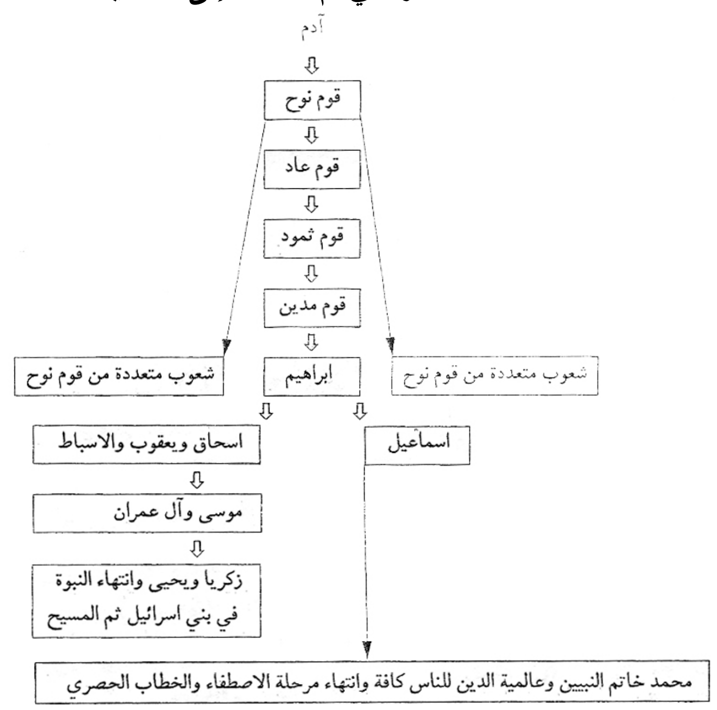
لذا لابد من إدراك التوحيد عبر المرجعية القرآنية وعدلها الناطق ومن ثم بناء التسلسل المعرفي وفق منهجية تعتمد على التوحيد أساساً وتتفرع على ضوء معطياته لبناء أصول الدين بفروعه وفروع الدين وتشعباته .

١. آل عمران : ٦٧ ـ ٦٨ .

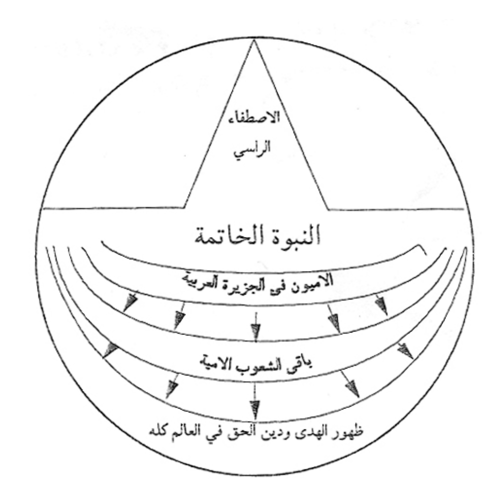
لعل هناك مشكلة في توظيف المعرفة على وفق المنهجية القرآنية تتصادم مع الواقع الرافض للنص الديني وهذا يمكن تجاوزه عبر عرض نتائج المعرفة ومعطياتها المنهجية التي تناولت الله والإنسان والكون وبذلك توحدت لغة الخطاب مع الرافض للنص الديني أن يكون محوراً معرفياً .

وقد أشار التصور الذي طرحه الاستاذ محمد أبوالقاسم حاج حمد في الدراسة التي أعدت حول منهجية القرآن المعرفية لمثل ذلك :

مخطط الاصطفاء الرأسي ثم الانتقال إلى العالمية



مخطط الخطاب العالمي يتدرج من الأميين في الجزيرة العربية
وإلى كافة الشعوب الأمية وإلى ظهور الهدى ودين الحق على الدين كله



المفاهيم المعرفية للقرآن الكريم

ان التعاطي مع المفردة القرآنية لنا أن نتعامل معه وفق رؤية اصطلاحية متشعبة الوظائف ومتعددة النتائج عند توظيفها بمنظور النص القرآني أولاً والتطبيق المعصوم ثانياً . مما يعني أننا أمام مفهوم متكامل بشكل رؤية معرفية يختزلها هذا المفهوم أو ذاك تنبسط على مجمل العرض القرآن وبناءه المعرفي من خلال الآيات القرآنية وتنعكس على الواقع التشريعي للشريعة بأبعادها وير بمستوياتها الثلاث :

- روح الشريعة .
- أخلاق الشريعة .
- فقه الشريعة .

وما تختزله من أصول وفروع ، والتي تتحرك في أفقها من هنا يبرز دور العدل الناطق والثقل الآخر للقرآن الكريم وهم أهل البيت المعصومين عليهم السلام حيث على ضوء ما توفر لدينا خلال عقدين ونصف تقريباً استنطاق أساليب التوظيف وفهمها ومجالات حركتها وآفاق توظيفها وأبعاد استنباطاتها وادراك آليات التوظيف والاستنباط المعرفي وفق منهجية قرآنية تطبيقية معصومة ، أما حصر المفردة القرآنية ببعد لغوي أو مناسبة النزول أو مذهب كلامي أو توظيف فقهي فقط فهو تضييق لدائرة الاصطلاح القرآني ولغة القرآن عبر مفاهيمه المعرفية [١] .

ان مثل هذه الرؤى تحقق لنا الترابط بين الغيب والواقع والذي غيب كلياً فعندما نأتي

١. ولعل وضع آليات شاملة ممكن أن تحاول جمع هذا الشتات عبر جلب اللفظة القرآنية ومحاولة استرجاع الاستفادات التي كانت على رؤية بناها المعصوم وتم الاستفادة منها وثانياً البعد الثاني للفهم المنسوب ببعد غير مباشر للمعصوم وثالثاً استرجاع الموروث التفسيري والتأويلي الذي قامت به الأمة في دوراتها التفسيرية متجاوزين المشرب الذي تبناه المفسر سوف يكشف لنا مدى التداخل ومدى الخلل ومدى التطور إن وجد وكيف تم وهذا ما هي إلا استرجاع للموروث المتداول ليس إلاّ ولا تعني التبني أو الاعتماد بل تخضع للتقييم والتدقيق وفق الرؤية التي حددها القرآن وعدله وإن حاول البعض .

للقرآن الكريم فهو يمثل الغيب بصفته الوحي المنزل وعندما نأتي للمعصوم وهو العدل المؤتمن بالنص على فهم وعرض هذا الكتاب والمكلف بعرض هذا الهدى ودين الحق والمطبق له قولاً وفعلاً وتقريراً والساعي من خلاله نحو درجات الكمال التي وصل لها هو أولاً ورسم له مسار ومنازل الصراط لهذا المكلف أو ذاك لتحقيق الغايات التطبيقية للمفاهيم المعرفية للقرآن الكريم نظرياً وعملياً .

ومن نافلة القول هو القيام بوضع آليات جادة وفاعلة وشاملة لسبر كل ذلك من خلال جمع هذا الشتات عبر جلب اللفظ القرآني ومعالجة المفردة القرآنية من خلال استرجاع الاستفادات والمحاولات ذات المنهجية الموضوعية والتي تحاكي الرؤية التي بناها المعصوم وتم الاستفادة منها هذا أولاً .

ثانياً : محاولة استجلاب البعد الثاني للفهم المنسوب ببعد غير مباشر للمعصوم .

ثالثاً : استرجاع الموروث التفسيري والتأويلي الذي قامت به الأمة على تشعباتها في دوراتها التفسيرية متجاوزين المشرب الذي تبناه المفسر .

والذي يكشف لنا بعد كل ذلك مدى التداخلات والتقاطعات والخلخلة التي رسمناها بأيدينا ووظفناها بعقولنا وكذلك من الجهة الأخرى التطور الإيجابي والسلبي بطبيعة الحال فنكون بذلك قد تجاوزنا أو على الأقل تكيفنا مع مرحلة مهمة من خلال اخضاع ذاتي للتقييم والتدقيق وفق الرؤية التي حددها القرآن الكريم وعدله .

المفاهيم والمنهجية ومرجعيته بناءهما

لو انطلقنا من قول [فوكو[1] ان الابستيومولوجيا (هي جملة من العلاقات التي تنتظمها النصوص وتربط بين العلوم في مجال معرفي متعين) فيكون النص القرآني بهذا التشخيص مجتمع العلوم ومنطلق الحضارة والفعل الثقافي الديني فعلى هذا يكون لدينا قاعدة مهمة لفهم وإدراك أبعاد المفاهيم التي احتواها النص القرآني ، إذ أن المفاهيم هي الأساس الذي تبنى عليه رؤيتنا المنهجية ، لذا لابد من عودة واعية وأمينة لفهم المفاهيم عبر إرجاعها لأصالتها

١. نقلاً عن (اركيولوجيا المعرفة) طبعه غاليمار الفرنسية ٢٥٠ ـ ١٩٦٩ م وفقاً لما ذكره د.محمد أحمد الخضراوي في مقالته تنقيح القرآن ، لعبة التأويل والنص القرآني ! موقع إسلام أون لاين نشر في ٢٠٠٤/٤/٣ م .

وفهمها الأصيل والذي يتحقق جزء منه عبر ما تقدم ذكره من خطوات منطلقين منه لبناء كيان المفاهيم القرآنية الأصيلة فهماً وإدراكاً وتوظيفاً وتطويراً لكي نكون مدركاتنا المعرفية ومنهجيتنا المفاهيمية .

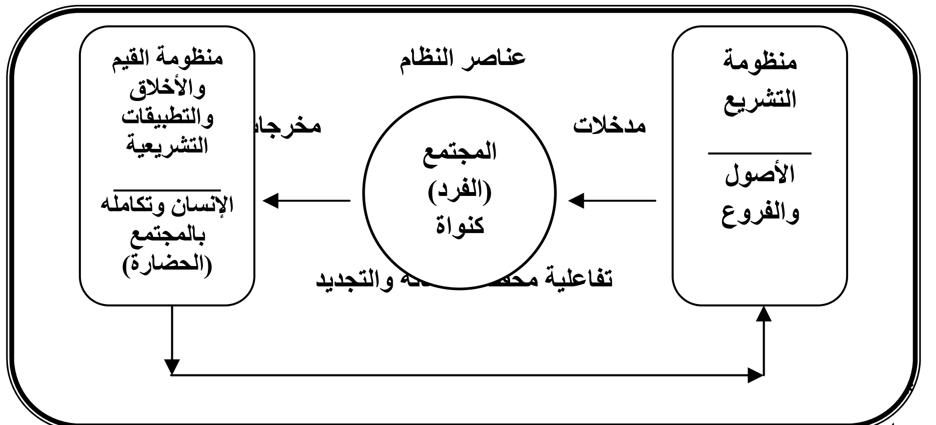
من هنا تتضح لنا شيئاً فشيئاً أبعاد المحكم والمتشابه في النص القرآني ودور رؤية المعصوم في آراءه المفاهيم وأبعادها وتطبيقاتها وآليات تفعيلها فنحن أمام ركنين أساسيين عند التعاطي مع النص القرآني :

١ ـ المفاهيم .

٢ ـ نظام المفاهيم .

نحن نعيش حالة من التداخل ما بين تحديد تلك المفاهيم ومستوى التعامل معها وآليات بناءها وأسس نظامها لتوليد مخرجاتها المعرفية والمنهجية ، وهذا لا يتحقق إلاّ من خلال النص القرآني وعدله اللذان يشكلان قوام حركتنا المعرفية والمنهجية المنطلقة أساساً من بناءها وتعاملنا مع كيان المفاهيم القرآنية .

ولعل تصور الأصالة والتجديد يمكن بناءه وفق المخطط التالي والذي تتشكل منه منظومة الفكر الديني بأصوله وفروعه ومدخلاته ومخرجاته .



حاج محمد، ابو القاسم، *منهجية القرآن المعرفية*، مخطط ٢٠٠٤ م .
الخضراوي، محمد احمد، *لعبة التاويل والنص القراني*، ٢٠٠٢ م.
علي العلي، *مفاهيم ومذاهب فكرية معاصرة الهرمنتيك*، جامعه ال البيت التايمز اللندنية، عدد ٢٠-١٢-١٩٧٥، مقال بعنوان القران المعرفي.
فوكو، *غاليمار* ، اركيولوجيا المعرفة، طبعة غاليمار الفرنسية ١٩٦٩م.

كمال عبد اللطيف، ***الانتجنسيا في المغرب العربي***، دار الحداثة ، بيروت١٩٨٤ م .